لهذا المخلوق، ولا كنتُ معنيّةً أيضًا بتسجيل إحصاءات الولادات والزواجات والطلاقات: فكلُّ ذلك الإرث كان يعاني درجةً فظيعةً من الفساد والانحطاط. فلا أنا مُصْلحة اجتماعية، ولا كان همّي الإشادة بنشاط الفتح الجنسيّ السخيف لمصعب. كنتُ في الدرجة الأولى أحاول التشكيك في وجدانات النساء، أن لا يستعرضن القلقَ على مستقبلهنّ (بالمعنى النفعيّ) إزاء الرجل/الزوج/البطل وهنّ في سنّ الورطة والآمال الخائبة والأوهام الباطلة: وأن لا يطالِبْن بدفع مستحقّات عن انخفاض معنى وقيمة الألم الممضّ الذي أصابهنّ. فالمرأة معرَّضة للخيانة مثلها مثل الرجل، وتخدع كما يخدع الرجل؛ ويخيَّل إليّ أنّ مَكْرها أقلّ نزقًا وأشدّ صرامةً منه، لسبب وجيه وليس بسيطًا، هو أنّها أشدُّ كتمانًا منه فقط.

- ٧ -

يَنْبغي أن نخطو إلى داخلنا قبل أن نخطو إلى غيرنا. في عموم قصصي ورواياتي، كنتُ أحاول إبقاءَ الفعل الجنسيّ في مرتبةٍ غيرِ تجريدية، وليس على أحسن وجه. هذا الفعل ناقص دائمًا، وآثارُه تَخِز كالإبر. حتى لو كانت الشهوة هي الأشدّ إيذاءً وإقلاقًا، فهي تتطلّب اللوم (لا أدري لِمَ؟) وحتى لو كانت بين شركاء أصحّاء لا يعانون انخفاضَ القيمة في الذات والخيال والصحة الروحية. في العموم هناك فشلٌ ما يمزّق سرورَ البهجة، أنّى يَكْمن، عنده أو عندها. وبذلك المقدار نفسه تتم العناقاتُ والوداعاتُ والحسراتُ، لأنّ الشغف يقود إلى ذلك البرزخ: تبعيّة الموت.

كنت أعتني بعلاقات الشركاء والعشّاق والمُفْلسين الحيارى في شخوص روايات **حبّات النفتالين** و **الغلامة** و **الولع** طوال الساعات والأيام والأعوام، لكي أبقى عالقةً بضوع الكلمات، بهواء عذاب الأشخاص، بالأنا الفضولية التي تراقب وتخشى الانحياز، بالآخر الذي تستَّرتْ به المؤلِّفة لكي تَضْبط إيقاعَ السرد على حركات التكرار، تكرارِ الجنس والغرام، تكرارِ اللعب والنشيج واللامبالاة وأكثر الأحيان فجور الشباب المتواطئ مع الكاتبة وهي تنزل إلى سنّها المتقدّمة كما تنزل الجثّةُ إلى حفرتها الفاغرة. لم أقرأ في أدبنا العربيّ فجورًا فنيّاً راقيًا يُقْصي شراكةَ الخير والشرّ ويَدَعُ الشبيبةَ النشوانة الهائمة في بؤرة المعارضة الحقيقية.

إنّني سليلةُ ذلك الرائي العظيم، كلكامش، الذي لم يُدْرك الاختلالَ أو الاختلافَ الجنسيَّ وهو يختار النومَ مع محبوبته عشتار، فيصيبه القصاصُ الإلهيّ ويُقْصيه عن مقام الآلهة، فتَنْفذ فيه رجولةٌ وحكمةُ البحث عن خلود النموذج.

اليوم، أفرادُ عائلتي لا يعترضون على سجلّ أنوثتي بعدما وقَعْتُ في شرّ أعمالي وصرت حرّةً في أن أفرِّط في أناي. فماذا يعني ان أحبَّتْ ثلاثُ نساء رجلاً واحداً؟ كان مصعب يهزأ من نفسه قبل الهزء منهنّ بطنينه العذب، فجمعْتُهنّ في سلوك الضيافة على صدره العريض وبطنِه الأملسِ وأنا أحاول أن أدعهنّ يستنشقن هواءَ تعدّد المباهج والآلام، ولم أنزل بهنّ إلى عنفِ تعدّد الزوجات وتفاهتِه.

لقد حاولتُ فقط أن أعرف، أن أَفْهم ذلك الداخل، داخلي بالدرجة الأولى. فأنا أرى الكتابةَ ذهابًا من غير رجعة. فلا مصعب كان حرّاً في اختياراته لحشد النساء ذاك، ولا النساءُ كنّ نادماتٍ على الذهاب إلى سريره وغرامه. ولا أَدْري، حتى الساعة، كيف يختلف عنهنّ أو بماذا يشترك معهنّ؟

باريس

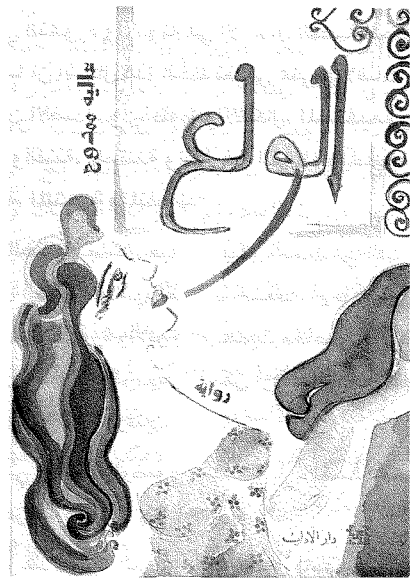

عالية ممدوح

روائية عراقية. تعيش في باريس. من رواياتها **هوامش إلى السيدة ب**، **الولع**، **حبّات النفتالين**